لمحمود محمد شاكر

للنجرة

ناسكة الصحراء

أيتها الجرداء في المقعِ قفرٍ من النابتِ والسائر
مفردةٌ تنأى بأحزانها عن همهمةِ النازلِ والزائرِ
وعن حديث اللهو من صاحبٍ وعن فضولِ النابشِ الخابرِ
وعن تزاعِ العيشِ في بيئةٍ متاعها للفاجرِ الظافرِ
وعن سوادِ الحقدِ في باطنٍ مغلَّفٍ بالنورِ في الظاهرِ
.... عن عالمٍ زورٍ أباطيلهُ حقٌّ ، ولكنْ في يدِ القاصرِ

***

أيتها الشمطاءُ في موقفٍ كأنهُ مقبرةُ القابرِ
أظلَّها الموتُ بأطيافهِ فما خلتْ من شبحٍ خاطرِ
يا عجبا من نابتٍ في فمٍ تقضمُ في الذابلِ والناضرِ !
واقفةً صمّاءَ في رقعةٍ تصمُّ عن نجوى خُطَى العابرِ
كأنها وحشيةُ غلظةٍ مسَّ من الجنّانِ والعامرِ
خاويةُ الرأسِ ولكنها عامرةٌ بالشعرِ الثائرِ
مغبرّةٌ شعثاءُ حبّبةٌ أدماها تقبّلُ النوى القاهرِ
كأنما تغرُ في هوّةٍ تشهدُ فيها نظرةُ الناظرِ
ملتاعةٌ شعّث أفنانها روعةُ يومٍ نافضٍ قاهرِ
صوّامةُ الأيامِ من عفّةٍ ناسكةٌ في جلدها الضامرِ
لا تسألُ الشمسَ شعاعاً ، ولا تسألُ عن نوءِ الحيا الماطرِ
لا تطعمُ الماءَ على جوعها غذاؤها من رملها الزاخرِ
وهو غذاءٌ جائعٌ ملهبٌ يلتهمُ الأحياءَ بالخاطرِ

تكيف سالمتِ سُمارِ الفلا يا دوحةً رمليـــةَ الجافرِ
ناقضتِ أترابكِ في نبتةٍ خضراءَ ، يا بنت الثرى العاقرِ

***

ما عجبي منكِ وما دهشتي !! اختلطَ الواردُ بالصادرِ
نحن ـ كلانا ـ غُربةٌ صُوِّرت تمثالَ حيٍّ ساكنٍ حائرِ
عندهم الأشواقِ مشبوبها تحتَ خمودِ الظاهرِ الفاترِ
تأخذنا العينُ ولو غفلت ذابتْ ، وكانتْ شحمةَ الصافرِ
نحنُ ـ كلانا ـ أملٌ مؤمنٌ بحقِّه في عالمٍ كافرِ
أبتنا الخذلانُ في وحشةٍ تطفأُ فيها جمـــرةُ الناصرِ
نحنُ ـ كلانا ـ صرخةٌ حرةٌ مأسورةٌ في زفرةِ الزافرِ
وكبرياء أُلبِسَتْ ذلّةً وعُوِّدت إطراقـــةَ الصاغرِ
تختلفُ الأيامُ من حولنا ونحن وقفٌ للردى الجائرِ
نحنُ الأحاديثُ ، وأرواحنا معلَّقـاتٌ في فم الآثرِ

***

يا أختَ ذي النونِ إنشري لُمَّةً لمنكنٍ آبدٍ نائرِ
تألفه الأُلاّف من أنسه ونفسهُ في فزعٍ نافرِ
وقلبهُ يزأرُ في سجنهِ مثل زئير الأسدِ الخادرِ
يدبُّ نبّاماً بهمّاتهِ مثل دبيبِ الوحشِ في الطاجرِ
يا أخت ذي النون اسكبي واسمعي لا تنكري زجرةَ الزائرِ
إن ضجيجَ الروحِ في أسرها مثـــلُ مأسورِ للآسرِ
استمعي نجوايَ في عزلةٍ تخشعُ فيها شفرةُ الجازرِ
في معبدِ الروحِ وعرابها تسجدُ هما صرخةَ الزاجرِ
يجثو ضرامُ الشرِّ في نورها ويزدهي في صمتها الطاهرِ
تسمو الأماني بين أرجائها قد طُهِّرتْ بالألمِ الناصرِ